ولا اسمى لديهم الاَّ ملومًا ولكان منسوبًا للقصور والتقصير والاخلال بالقليل والكثير قوم هذه طباعهم وتلك اوضاعهم من ذا يرضيهم بحال ولو فعل لم المحال الى آخر المقال
ستاتي البنيَّة

الروايات

لجناب حبيب افندي بنوت الحلبي

القصد من تأليف الروايات تسلية الخواطر وتهذيب الاخلاق فهي آلة يبث بها الكاتب العواطف الشريفة والمبادئ الجليلة وذريعة ينهى بها عن ارتكاب الدنايا على اختلاف انواعها . وقد سعى كتابنا في السنين الاخيرة للاقتداء بكتبة الافرنج فاخذ البعض يؤلف والبعض يعرّب فاحمدنا المسعى وشكرنا همة مَن اقدم على هذا العمل المفيد على انهُ لما كان عملنا هذا ناقصًا من عدة وجوه وكان الانتقاد من اكبر بواعث الاصلاح وبلوغ درجة الكمال رأيت ان ابسط لحضرة القراء الكرام بعض ما علمنهُ بالاختبار تنبيهًا للافكار فاقول

من الكتّاب في لغتنا مَن اقتصر على سرد الوقائع وايراد الحوادث فلم يطنب في مدح من التزم الصدق في اقوالهِ والشجاعة في اعمالهِ والعفة في تصرفاتهِ ولم يوجه اللوم نحو الجبان اللئيم ولم يطنب في ذم كل شرير اثيم حاسبًا ان وقائع الرواية على اختلافها هي الغرض المقصود من تأليفها وقد فاتهُ ان اختراع الحوادث وتلفيق الوقائع انما هما واسطة لاجتذاب القارئ واستمالة خاطرهِ الى النصائح والارشادات التي يجب ان تملأ بها الرواية . وهكذا لو قابلنا بعض ما عرّب من الروايات على اصلهِ لاتضح لنا ان المعرّب قد ضرب صفحًا عن كل تنكيت وتبكيت وردا في الاصل ظنًّا منهُ ان لا فائدة من ذكر ذلك اذ لا تهم القارئ معرفتهُ . فهذا خال يجب اصلاحهُ والاَّ فاتت الغاية المقصودة وبعُد المرام

ومن الكتاب من لم يجتنب ذكر الالفاظ البذية والاعمال المغايرة للحشمة والادب مما يقطب لذكرهِ وجهُ الاديب نفورًا ويحمر منهُ وجنة العذراء خجلاً كأنهُ ينسى ان الرواية يطالعها الفتيان والفتيات والشبان والشيوخ على اختلاف السن والمذهب

ومن الكتاب من كتب رواية بعبارة هي غاية الفصاحة جمعت اساليب البيان

وانواع البديع والتزم السجع في كل جملة منها وتلاعب في صنوف التعبير وفنون التحبير ما يشكل فهمه حتى على دارس اللغة ولا نعلم ما الغاية من ذلك والروايات ليست كتبًا علميَّة ليتفنن بمطالعتها القراء ومنهم مَن لا يستطيع الاَّ فهم العبارة البسيطة الخالية من الالفاظ اللغوية

ومن الكتاب من الَّف رواية بعبارة في غاية الركاكة محشوة بالاغلاط الصرفيَّة والنحوية لا تقرأ منها سطرًا صحيحًا ولا تتبين فيها معنًى صريحًا وهذا مما لا يجوز التسامح فيه حرصًا على شأن اللغة وحذرًا من توهم القارىء صحة العبارة على فسادها ولا يخفى ما في ذلك من الضرر. ولا مشاحة في ان عبارة الرواية يجب ان تكون صحيحة من حيث قواعد اللغة سهلة المأخذ قريبة المنال خالية من كل تعقيد يفهمها من درس قواعد اللغة ومَن لم يدرسها. وهنا نقول على سبيل التذكير ان راسين الشاعر الفرنسوي صاحب المؤلفات والتصانيف الغني عن كل تعريف لم يفضله البعض على غيره من معاصريه الشعراء والمؤلفين الاَّ لصحة عبارته وسهولة فهمها

ولكتابة الروايات وجهان اما التأليف واما التعريب فاذا كان الكاتب قادرًا على التأليف عالمًا بحاجات البلاد كان التأليف اكثر فائدة من التعريب لانه ينتقد به على العادات الوطنيَّة وينبِّه الى اصلاحها ويحث على تهذيب الاخلاق وينهض الهمم الى تحسين كل علم وعمل والاَّ فالتعريب اولى. ولكن يجب على المعرب في هذه الحالة ان ينتقي افضل الروايات واكثرها تهذيبًا واعظمها وقعًا في النفوس ويعتمد على كبار المؤلفين الذين اشتهروا في هذا الفن وطار ذكرهم في الآفاق

ويجب على الكاتب ان يعرض ما يكتبه على مَن كان اكثر منه معرفة لينتقده ويصلح ما فيه من الخلل لان الانتقاد اكبر معلِّم واقوى مهذب ولا يتوهم ان ذلك يحط من قدره ألا ترى ان الاجانب يفتخرون بذلك ويتباهون ولقد طالعت لاحدهم تأليفًا اعاد طبعه مرة ثانية وصدرها بما ورد عليه من الانتقاد مفتخرًا بان تأليفه استحق ان ينتقد شاكرًا المنتقد شكرًا عظيمًا. وامثال ذلك كثيرة عندهم

وعلينا ان نسير في هذا السبيل الاقوم متخذين الاجتهاد شعارًا والاصلاح ديدنًا لا يوهن عزمنا ما نراهُ من تقصيرنا في الحال فان هذا الفن حديث عندنا ولا بدَّ من ان نلقى فيه مصاعب شتَّى ولا لوم علينا اذا لم نصل الآن الى ما وصل اليه غيرنا من نقتدي بهم وباعمالهم فانهُ لم يمضِ علينا ما مضى عليهم من الزمن ولذلك لا يجب ان نيأس

من الوصول يومًا ما الى الغاية المقصودة ولو اعترضت مسيرنا الصعوبات فالارادة تقيل العثرات والاجتهاد يزيل العقبات . ومن يطالع ما كان عليهِ هذا الفن حال نشأتهِ في اوربا يعلم ان رجاله لقوا في بداءة امرهم من المصاعب والمتاعب ما يوازي الجبال الراسيات فقاوموها بهمة لا يعتريها ملل وعزيمة لا يداخلها كلل فكتبوا وصلَّحوا وهذبوا ونقحوا ولم تطبع مؤلفاتهم مئات من المرات ولا اقبل عليها الشعب ايما اقبال ولا ترجمت الى لغات عديدة وناليك فوائدها الادبيَّة والمادية الاَّ بعد ان قاسوا مشاق الدرس والاشتغال والصبر على كل كريهة

وكأني بمعترض يقول عبثًا تحاول حثنا على التأليف وتنهض همتنا اما التعريب فان مواطنينا لا يقبلون على كتاباتنا اقبالاً يعوض علينا ما ننفقهُ من الوقت والدرهم فجوابنا على ذلك اقول ان اهل الوطن غير ملومين في الحال على عدم هذا الاقبال لان الروايات لم يعم انتشارها حتَّى الآن ولا ظهرت فوائدها تمام الظهور ولاسيما لان بعض التآليف المتداولة بين ايدي العامة ليس فيها من سمو الموضوع وحسن السبك وسهولة المأخذ ما يدعو الى الاقبال المطلوب غير اننا على يقين من ان نرى الشعب مقبلاً منقادًا بحكم السعي وراء الفائدة يوم يتقدم هذا الفن وتنمو رغبة الكتَّاب في اتقانهِ فلا يقتصرون على ذكر الغرام والهيام واللقاء والفراق وسائر ما يتعلق باحوال العشاق بل ينظرون الى ما بهِ تهذيب الطباع واصلاح العادات وترقية الاخلاق

دار العقاب ودار الثواب

القبر بابٌ وكلُّ الناسِ تدخلهُ فيا ترى بعد هذا الباب ما الدارُ
الدارُ دارُ نعيمٍ ان عملتَ بما يُرضي الاله وان خالفتَ فالنارُ

وهذا صدى ما قالهُ اكثر الناس على اختلاف الاعصار والامصار . وما علَّم بهِ دعاة الاديان في كل زمان ومكان . ولو لم يشاهد السيَّاح والباحثون اقوامًا مختلفين في افريقية واميركا وجزائر المحيط لا يعتقدون بعقاب ولا بثواب لقلنا ان الاعتقاد بهما فطريٌّ في الناس مهما اختلفت شؤونهم ومذاهبهم . والجمهور على ان النفس تحيا حياة اخرى بعد الموت تجازى فيها عمَّا صنعت في هذه الحياة الدنيا خيرًا كان او شرًّا ولكنهم اختلفوا عند التفصيل وذهبوا مذاهب شتَّى لا يخلو الاطِّلاع عليها من اللذة والفائدة لانهما اثرت اعظم اثر